أبطال الإسلام

صلاح الدين الأيوبى
(بطل حطين)



المجد

تأليف: د/ على راشد

رسوم: ماهر عبد القادر

برقم إيداع 2013/7077

المجد للنشر والتوزيع 0106372799

كَانَ "نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ" وَالِيًا عَلَى قَلْعَةِ تِكْرِيتَ بِالْعِرَاقِ، وَلَكِنَّهُ طُرِدَ مِنْهَا، فَرَحَلَ عَنْهَا، وَفِى إِحْدَى لَيَالِى عَامِ ١١٣٨م / ٥٣٢ هـ رُزِقَ بِمَوْلُودٍ سَمَّاهُ "صَلَاحَ الدِّينِ"، وَعَاشَ "نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ" هُوَ وَأُسْرَتُهُ فِى دِمَشْقَ.



وَأَصْبَحَ ضَابِطًا فِى الْجَيْشِ تَحْتَ قِيَادَةِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ "نُورِ الدِّينِ مَحْمُودُ زَنْكِىٍّ" مَلِكِ دِمَشْقَ، فَكَانَتْ طُفُولَةُ وَشَبَابُ صَلَاحِ الدِّينِ فِى "دِمَشْقَ" حَيْثُ قَضَى شَبَابَهُ فِى بَلَاطِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ.



وَعَلَّمَهُ أَبُوهُ "نَجْمُ الدِّينِ" لُعْبَةَ "الصَّوْلَجَانِ" (وَهِىَ تُعْرَفُ الْآنَ بِلُعْبَةِ الْبُولُو، حَيْثُ يَتَبَارَى فَارِسَانِ أَوْ أَكْثَرُ كُلٌّ عَلَى حِصَانِه، وَمَعَهُ عَصًا طَوِيلَةٌ يُحَرِّكَانِ بِهَا كُرَةً صَغِيرَةً عَلَى الْأَرْضِ".



وَلَقَدْ لَقِىَ "نَجْمُ الدِّينِ" مَصْرَعَهُ عِنْدَمَا سَقَطَ مِنْ فَوْقِ حِصَانِهِ فِى أَثْنَاءِ إِحْدَى مُبَارَيَاتِ لُعْبَةِ "الصَّوْلَجَانِ".

وَأَحَبَّ الْمَلِكُ الْعَادِلُ "نُورُ الدِّينِ مَحْمُودُ زَنْكِىٍّ".



وَبَعْدَ عدَّة سَنَوات أَمَرَ الْملكُ الْعَادلْ بإرْسَال جَيْشَ إلى مصْر للْقَضاء عَلَى اضْطرَابَات الحُكْم فيه ، تَحْتَ قيَادَة "أَسَد الدِّين شيركُوه" وابْن أَخيه "صَلاح الدِّين" .

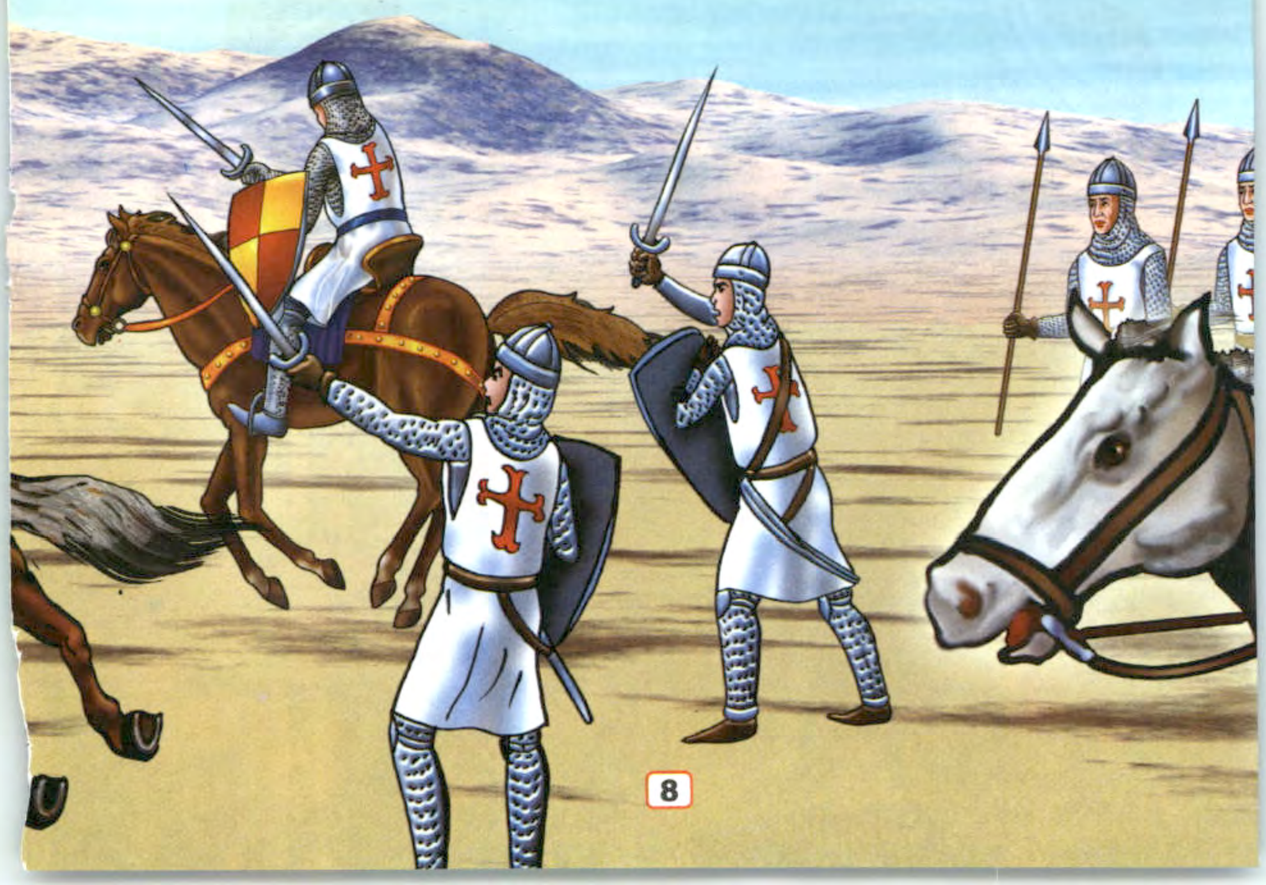


فَقضَى الْجَيشُ عَلَى هَذه الاضْطرَابَات كَمَا أَرْهَبَ حَمْلَة من الحَمَلات الصَليبيَّة المُتَتَاليَة التي جَاءَت إلَى دُمْيَّاط ، فَرَجَعَتْ من حَيْثُ أَتَتْ ، بَعْدَ عدَّة مَعَارِكَ انْتَصَرَ فيهَا "أَسَدُ الدِّين شيركُوه" وابْنُ أَخيه "صَلاحُ الدِّين" ، وأَصْبَحَ "أَسَدُ الدِّين شيرْكُوه" عَام ١١٧٠م وَزيراً للخَليفَة الفَاطمي "العَاضد" ، وسَاعِدَه في ذَلكَ ابْنُ أَخيه "صَلاحُ الدِّين".



وَفِي عَام ١١٧١م مَاتَ "أَسَدُ الدِّين شيركُوه" ، فَفَرَضَ "صَلاحُ الدِّين الأَيُّوبي" نَفْسَهُ وَزِيراً للخَلِيفَة الفَاطِمي "العَاضد" ، وَمَا أنْ مَاتَ هَذَا الخَلِيفَة حَتى انْتَهَتْ الدوْلَة الفَاطميِّة فِي مصْر ، وحَكَمَهَا منْ بَعْده "صَلاحُ الدِّين الايُوبي" الَّذي حَدَّثَ اقْتصَادَ مصْرَ ، وَأَعادَ تَنْظيمْ الجَيْش وَسَيطَرَ عَلى البلاد.

اتَّخَذَ صَلاحُ الدِّين لَقَبَ "سُلْطَان مصْرَ"، وَمُؤَسِّس الأُسْرَة الأَيُّوبيَّة، وَامْتَدَّ حُكْمُهُ إلَى الشَّام وَالْحِجَاز وَالْيَمَنِ وَبَرْقَة وَالنُّوبَة.



وَرَغْمَ كُلِّ هَذَا الْمُلْك كَانَ صَلَاحُ الدِّين مُتَمَيِّزًا بِالْبَسَاطَة بَيْنَ مُلُوك عَصْرِه، وَلَمْ يَكُنْ يُحِبُّ أَنْ يَسْكُنَ فِى الْقُصُور، وَكَانَ يَلْبَسُ مَلَابِسَ مِنْ أَقْمِشَة عَادِيَّة، وَكَانَ يَعْتَبِرُ نَفْسَهُ وَأُسْرَتَهُ خَزَنَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَحُرَّاسًا لِأَمْوَالِهِمْ، وَكَانَ يُصَلِّى غَالِبًا فِى جَمَاعَة، وَيَصُومُ كَثِيرًا مَعَ ضَعْف بِنْيَتِه، وَسَمَّى نَفْسَهُ "خَادِمَ الْحَرَمَيْن".

وَاتَّخَذَ "صَلَاحُ الدِّين" وَزِيرَهُ الشَّهِير وَكَاتِبَهُ وَمُسْتَشَارَهُ الْقَاضِىَ الْفَاضِلَ "عَبْدَ الرَّحِيم بْنَ عَلِىٍّ" الَّذِى قَالَ عَنْهُ "صَلَاحُ الدِّين": "لَمْ أَفْتَحِ الْبِلَادَ بِسَيْفِى، وَإِنَّمَا بِرَأْىِ الْقَاضِى الْفَاضِل".



وَاقْتَرَبَتْ مَعْرَكَةُ "حطِّينَ" منْ وُقوعها، وَهِىَ مَعْرَكَةٌ فاصلَةٌ بَيْنَ الصَّليبيِّينَ، وَقُوَّات صَلَاح الدِّين الْمُسْلمَة، فَلَقَد احْتُلَّتْ بَعْضُ الْمَنَاطق منَ الْبلَاد الإسْلَاميَّة وَعَلَى الأَخَصِّ "الْقُدْسُ"، منْ قِبَلِ الصَّليبيِّينَ وَاسْتَمَرَّ هَذَا الاحْتلَال قُرَابَةَ تِسْعينَ عَامًا.



فَكَانَ هَذَا دَافِعًا لِتَحْرِيرِ الْبِلَادِ مِنْ هَذَا الْمُحْتَلِّ الأَجْنَبِىِّ كَمَا كَانَت الْغَارَةُ اللُّصُوصِيَّةُ الَّتِى شَنَّهَا أَحَدُ أُمَرَاءِ الإِفْرِنْجِ وَيُدْعَى "رينالد" (أرناط) السَّبَبَ الْمُبَاشِرَ لِحُدُوثِ مَعْرَكَةِ حِطِّينَ، فَقَدِ اعْتَرَضَ بِقُوَّاتِهِ قَافِلَةً تِجَارِيَّةً بَيْنَ سُورِيَا وَمِصْرَ (رَغْمَ وُجُودِ مُعَاهَدَةٍ بَيْنَ الأَطْرَافِ لَا تُبِيحُ مِثْلَ هَذَا الْعَمَلِ).



وَفى أَوَّلِ يُولْيُو عامَ ١١٨٧ م اسْتَعَدَّ جَيْشُ الْمُسْلمِينَ وَالَّذى قُدِّرَ بـ ٢٥ أَلْفًا منَ الْمُقَاتلِينَ بقِيَادَة صَلَاح الدِّين الأَيُّوبىِّ لِخَوْض الْمَعْرَكَة أَمَامَ جَيْش الصَّلِيبيِّينَ وَالَّذى قُدِّرَ بـ ٧٠ أَلْف مُقَاتِل تَحْتَ قِيَادَة مُلُوك الْفِرِنْجَة وَهُمْ: "جى دى لوزينيان، ريتشارد قَلْبُ الأَسَدِ، رينالد "أرناط".

وَقَبْلَ بَدْءِ الْمَعْرَكَة أَمَرَ "صَلَاحُ الدِّين" بَعْضَ جُنُوده بِحَرْقِ الأَعْشَاب وَالشُّجَيْرَات فى سَاحَة الْمَعْرَكَة وَأَنْ يَسْتَوْلُوا عَلى عُيُون الْمَاء عَمَلًا عَلَى تَعْطِيش جَيْشِ الصَّلِيبيِّينَ، وَإِجْبَارِهِمْ عَلَى النُّزُول للاشْتِبَاك مَعَهُمْ.



وَقَامَتْ مَعْرَكَةُ حطِّينَ يَوْمَ الْجُمُعَة ٤ يُولْيُو عَام ١١٨٧، فَأَهْلَكَتْ سهَامُ جَيْش الْمُسْلمينَ جُنُودَ الصَّليبيِّينَ، ثُمَّ شَنَّ الْجَيْشُ هُجُومًا بالسُّيُوف وَالرِّمَاح، فَقَتَلُوا الْآلافَ منَ الْأَعْدَاءِ، كَمَا جُرِحَ وَأُسِرَ الْآلَافُ، وَاسْتَسْلَمَ الْأُلُوفُ منْهُمْ،

وَلَمْ يَنْجُ منْهُمْ إِلَّا بِضْعُ مِئَاتِ فَرُّوا إِلَى مَدِينَةِ "صُورَ" وَاحْتَمَوْا وَرَاءَ أَسْوَارهَا.

وَبَعْدَ الْمَعْرَكَة سُرْعَانَ مَا احْتَلَّتْ قُوَّاتُ صَلَاح الدِّين، وَأَخيه الْمَلك الْعَادل الْمُدُنَ السَّاحليَّةَ كُلَّهَا تَقْرِيبًا: عَكَّا، وَصَيْدَا، وَيَافَا، وَقَيَاديَّةَ، وَعَسْقَلَانَ.



وَحاصَرتْ قُوَّاتُ المُسْلمينَ بقيادَة النَّاصر "صَلاح الدِّين" مَدينَة "القُدْس"، وَلَمْ يَكُنْ بِمَقْدُور القُوَّات الصَّليبيَّة الصَّغيرَة أَنْ تَسْتَطيعَ أَنْ تَصْمُدَ لِجَيْشِ المُسْلِمينَ المُنْتَصِر.



فَاسْتَسْلَمَت الْمَدِينَةُ بَعْدَ سِتَّة أَيَّام منَ الْحِصَار وَفى يَوْم ٢ أُكْتُوبَر عَامَ ١١٨٧ فُتحَت الأَبْوَابُ، وَخَفَقَتْ رَايَةُ السُّلْطَان النَّاصر صَلَاح الدِّين الصَّفْرَاءُ فَوْقَ الْقُدْس، وَتَمَّتْ مُعَاهَدَةُ الصُّلْح بَيْنَ صَلَاح الدِّين قَائد قُوَّات الْمُسْلمينَ، وريتشارد قَلْب الأَسَد قَائد الْقُوَّات الإنْجليزيَّة.



وَانْصَرَفَ "صَلَاحُ الدِّينِ" مِنَ الْقُدْسِ بَعْدَمَا أَمَرَ فِيهَا بِبِنَاءِ الْمَدَارِس وَالْمُسْتَشْفَيَات، وَقَامَ بِجَوْلَةٍ فِى بِلَادِ الشَّامِ الَّتِى كَانَتْ تَحْتَ سَيْطَرَتِه لِيَطْمَئِنَّ عَلَى أَحْوَالِهَا، وَعَلَى مَسِيرَةِ الْإِصْلَاحَات، ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ وَمَكَثَ فِيهَا فُتْرَةً طَلَبًا لِلرَّاحَة، وَعَازِمًا عَلَى الْمَسِيرِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مِصْرَ لِيَسْتَطْلِعَ أَحْوَالَهَا، إِلَّا أَنَّ الْمَرَضَ اشْتَدَّ عَلَيْه، وَمَا لَبِثَ أَنْ تُوُفِّىَ فِى دِمَشْقَ وَدُفِنَ بِهَا عَامَ ١١٩٣ م عَنْ عُمْرٍ يُنَاهِزُ خَمْسَةً وَخَمْسِينَ عَامًا.

